

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

مقاربة الدلالة الصوتية في اللغة العربية

Phonetic significance in the Arabic language

هشام فرّوم Hicham ferroum ، محمد رضا بركاني Mohammed ridha berkani

berkanirida@gmail.com hichamferroum@gmail.com

جامعة الطارف EL-tarf University

المؤلف المرسل: هشام فرّوم Hicham ferroum الإيميل: hichamferroum@gmail.com

تاريخ القبول: 2020-02-25

تاريخ الاستلام: 2019-10-09

ملخص:

قسّم علماء اللّغة الدّلالة بحسب مصدرها أربعة أنواع هي: الدلالة المعجميّة، والدلالة الصوتيّة، والدلالة الصرفيّة، والدلالة النحويّة. وتسمّى هذه الأنواع مستويات التحليل اللساني. وقد رأى العلماء أنّه لا توجد حدود فاصلة بين هذه المستويات، فلا يمكن استبعاد مستوى منها، فأصوات اللّغة تتأثر بالصيغ، والصيغ تتأثر هي الأخرى بالأصوات، فالتغيّرات الصرفيّة تقوم على عناصر صوتيّة، وليست الوحدات الصرفيّة إلاّ أصواتا، والصوت والصيغة كلاهما يتأثر بالمعنى؛ أي أنّ الهدف من تحليل هذه الجواب اللغوية هو تبين المعنى على نسق واضح سهل الفهم، انطلاقا من تشارك هذه المستويات في تشكيل الدلالة كلّ في إطار مجاله.

كلمات مفتاحية: الدلالة، الصوت، اللغة العربية، الكلمة، الجملة.

Abstract:

Linguists divided the semantics according to their source four types: lexical semantics, phonetic semantics, morphological semantics, and grammatical semantics. These types are called levels of linguistic analysis. Scientists have seen that there are no boundaries between these levels, one level cannot be excluded. Language sounds are affected by formulas. The purpose of the analysis of these linguistic aspects is to show the meaning in a clear and easy to understand, based on the participation of these levels in the formation of significance each within the framework.

Keywords: Semantics; Sound; Arabic language; Word; Sentence.

مقدمة:
حسّم المهرف، وذوقهم الموسيقي السليم. ويتقدّم تلك الجهود إشارات ابن جنيّ (ت392هـ) المميّزة في هذا المجال؛ حيث كان له اهتمام خاصّ بالدلالة الصوتيّة، وهي في نظره مستمدة من طبيعة الأصوات في حدّ ذاتها، من حيث صفاتها الدّاتيّة، اعتمادا على مخارجها. والنصّ الآتي يقرّ فيه لطف هذه العلاقة وتناسبها وصحتها: "ومّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك بهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره وأضعاف ما نستشعره من ذلك، كقولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك وفي الخبر، قد يدرك الخضم بالقضم؛ أي قد يدرك الرّخاء

إنّ اللّغة ظاهرة صوتيّة تختلف اختلافا كليّا عن سائر الرّموز الأخرى غير اللّغويّة، ومن ثمّ فإنّ دراستها دراسة علميّة تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميّزة تنتج عنها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة. والمستوى الصوتي واقع مثل المستويات الأخرى (المعجميّة، والصرفيّة، والنحويّة) في كلّ اللّغات؛ لأنّه يشكّل اللبنة الأولى لماهيّة اللّغات البشريّة، والأداة الرئيسيّة لتواصل البشر، وانتقال المفاهيم الدّهنيّة عندهم. من هنا تعدّ المباحث الصوتيّة أوّل خطوة لتفسير اللّغات.

وتعدّ مسألة القيمة الدلاليّة للصوت مسألة قديمة قديم التّفكير اللّغويّ، غير أنّ خير من فصل القول فيما هم علماء العربيّة⁽¹⁾ الّذين كانت لهم في ذلك لفتات طريفة، ونظرات بارعة تتمّ على

والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأثرهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ لأنك قد تهزّ ما لا بال له، كالجدع وساق الشجرة ونحو ذلك⁽⁶⁾. يوضح لنا ابن جني في هذا النصّ أنّ تقارب الحروف أو الأصوات ناتج عن تقارب المعاني ويقدم مثلا لذلك لكمي الهزّ والأزّ المتقاربتين في المعنى ومعناهما: تزعجهم وتقلقهم. أما إذا نظرنا إلى الكلمتين من الناحية اللفظية فنجد أنّهما لا تختلفان إلا في حرف الهاء والهمزة وهما حرفان متقاربان أيضا من الناحية الصوتية فالهاء مخرجه الحلق وهو المخرج ذاته للهمزة.

وتتلخّص آراء ابن جني في الدلالة الصوتية فيما يلي:

- ✓ تكرار الصوت يؤدي إلى تكرار المعنى، وتصويره، وتقويته، والمبالغة فيه.
- ✓ ثمة علاقة بين صوت الحرف ومخرجه وما يدلّ عليه من معنى.
- ✓ كلّ صوت في اللفظة قد يعبر عن جزء من المعنى الذي تعبر عنه اللفظة بأصواتها جميعا.
- ✓ وجود علاقة طبيعية بين الحرف ومعناه أو ما يسمى بالقيمة التعبيرية للحرف الواحد، إذ تتقارب المعاني أحيانا نتيجة تقارب مخارج الحروف، وترتبط قوة المعاني بقوة الحروف.

ولم يغفل الدرس اللساني الحديث قيمة وأهمية الخاصية الصوتية في اللغة، بل اهتمّ بها كثيرا، واعتبرها فرعا من فروع اللسانيات، ومستوى من مستوياتها التي لا يمكن تجاهلها أو غضّ الطرف عنها؛ لأنّ الأصوات هي الوحدات الصغرى التي تبنى عليها الكلمات والجمل والعبارات، وعن طريق تألفها تخرج الأفكار الدفينة من حيّز الكتمان إلى حيّز الوجود. وقد أطلق عليها مصطلح (الدلالة الصوتية): "وهي مستمدة من عمليات النطق ومن طبيعة بعض الأصوات في المنطوق به"⁽⁷⁾. أو هي ما تؤدّيه الأصوات المكوّنة للكلمة من دور في إظهار المعنى، وذلك في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، سواء كانت هذه الأصوات صوامت أو حركات وتسمى العناصر الصوتية الرئيسية التي يشكّل منها مجموع أصوات الكلمة التي ترمز إلى معنى معيّن، كما تتحقّق الدلالة الصوتية كذلك من مجموع تأليف كلمات الجملة

بالشدة، واللّين بالشفط، وعليه قول أبي الدرداء: يخضمون ونقضم والموعد الله، فاختر الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس حدوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"⁽²⁾.

لقد أدرك ابن جني بحسّه المرهف أنّ الفونيمات تؤدّي دورا هاما في الدلالة، وأنّ الإبدال الذي يحصل بينها يولّد دلالة جديدة، ونلاحظ ذلك في: (خضم وقضم)، فالخاء تدلّ على الرخاوة، وبالتالي جاء الفعل (خضم) للدلالة على أكل الرطب، والقاف تدلّ على الشدة ومن ثمّ جاء الفعل (قضم) للدلالة على أكل اليابس، فالصوت الرخو يدلّ على المعنى الرخو، بالمقابل يدلّ الصوت الغليظ على المعنى الغليظ. ويؤكد هذا التوجّه بقول في موضع آخر: "إنّ كثيرا من هذه اللّغة وجدته مضاهيا بأجرام حروفه وأصوات الأفعال التي عبر عنها، ألا تراهم قالوا قضم في اليابس، وخضم في الرطب، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف"⁽³⁾.

وفي قول آخر يقف على المصادر المضعفة، مفسرا إياها اعتمادا على ذوقه الفني وحسّه اللغوي. يقول: "إنّ المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير، نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقة، والجرجرة، والقرقرة، ووجدت أيضا الفعلى في المصادر والصفات إنّما تأتي للسرعة نحو: البشكى، والجمزى، والولقى، ... فجعلوا المثال المكرر - أعني باب القلقلّة- والمثال الذي تواتت حركاته للأفعال التي تواتت الحركات فيها"⁽⁴⁾. وبلتفت ابن جني في نصّ آخر إلى وجود صلة بين صوت الجندب والفعل الذي يدلّ عليه (صر). وبسبب تشابه صوت البازي وصوت الجندب مع وجود اختلاف في الكيفية، جاء الفعل الذي يصف صوت البازي مضعفا (صرصر). في هذا الشأن يقول نقلا عن الخليل بن أحمد الفراهيدي: "كأنّهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومداء، فقالوا صرّ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعا، فقالوا صرصر"⁽⁵⁾. أي أنّ المعاني تتقارب نتيجة لتقارب جرس الأصوات، وتختلف نتيجة لاختلاف الجرس الصوتي.

أما في باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) فيقول: "من ذلك قول الله سبحانه: "ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزا": أي تزعجهم وتقلقهم. فهذا في معنى تهزهم هزا،

على مستوى دلالة الكلمة سنحاول تبين كيفية مساهمة العناصر الصوتية الآتية: (الفونيم، المقطع، التبر) في تشكيل وصناعة الدلالة الكلية للكلمة.

1.2- الفونيم:

الأصوات لبن الكلمات: وهي أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن تقع في كلمة في السياق الصوتي نفسه الذي يقع فيه الآخر.⁽¹¹⁾

ويعدّ الفونيم **phonème** أصغر وحدة صوتية، وهو علامة لسانية مهمتها حمل معنى الكلمة، لا تحمل معنى في ذاتها، وقادرة على تغيير المعنى. أو هو كما عبّر عنه (تروبتسكوي) عبارة عن نماذج صوتية لها القدرة على تمز الكلمات وأشكالها والأنماط الصوتية المستقلة التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات.

وقد ترجمه المؤلفون العرب إلى صوت، ووحدة صوتية، وصوتية، ولافظ، وبعضهم عبّره صوتيم، وآخرون أبقوه على لفظه فونيم.

والفونيم لا يحمل أهمية للكلمة في ذاته، ولكن أهميته متأتية من الاختلاف الصوتي الذي يسمح بتمييز هذه الكلمة من الكلمات الأخرى: فالوحدات اللغوية لا يميزها كما يعتقد نوعيتها الذاتية والإيجابية، ولكن ميزتها الأساسية أنّها تمنع من اختلاط كلمة بأخرى؛ أي أنّ الأصوات تعدّ كينونات متعارضة قبل كلّ شيء ونسبية وسلبية.

يؤثر الصوت أو الفونيم في دلالة الكلمة من نواح معينة منها:

الناحية الأولى:

التغيير أو استبدال أحد أصوات الكلمة بصوت آخر يؤدي إلى تغيير في دلالاتها. مثال ذلك الأصوات الأوائل في: ناب، تاب، عاب، غاب، ... وفي: قال، مال، نال، طال، ... فاختلاف الصوت الأول في هذه الكلمات المتشابهة في بناء المقاطع أدى إلى اختلاف الدلالة. وهذه الناحية من الدراسة الدلالية للصوت على مستوى الكلمة يندرج ضمن مباحث علم وظائف الأصوات؛ حيث تدرس وظائف هذه الأصوات من خلال التقابلات الثنائية التي تظهر

وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا الأداء، وهذا ما يعرف بالعناصر الصوتية الثانوية التي تصاحب الكلمة المفردة.⁽⁸⁾

يوضح أحد الباحثين مفهوم الدلالة الصوتية بقوله: "تعتمد على تغيير الفونيمات؛ أي باستخدام المقابلات الاستبدالية بين الألفاظ، حتى يحدث تعديل أو تغيير في معاني الألفاظ؛ لأنّ كلّ فونيم مقابل استبداليّ لآخر، فتغيّره أو استبداله بغيره لا بدّ أن يعقبه اختلاف في المعنى، كما نقول في العربية: (نفر ونفد)، فبمجرد استبدال الرّاء بالذال يتغيّر معنى الكلمتين بصورة آلية"⁽⁹⁾. ويخلص إلى نتيجة عامة، يقول: "وعليه كلّ حرف أو حركة في اللّغة العربية يمكن أن يكون مقابلاً استبدالياً، فالحروف في تبدّلها ذات وظيفية فونيمية، كذلك الحركات لها دلالة صوتية؛ أي ذات وظيفة فونيمية أقرب إلى وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات"⁽¹⁰⁾.

وتكون الدلالة الصوتية إما ذات دلالة وظيفية مطّردة، وإما ذات دلالة صوتية غير مطّردة، فأما الدلالة الصوتية المطّردة فهي ما كانت لها دلالة تخضع لنظام معين أو قواعد مضبوطة؛ فهي التي تعتمد على تغيير مواقع الفونيمات، فتغيّر أيّ فونيم أو استبداله بغيره لا بدّ أن يعقبه اختلاف في المعنى، وقد يكون هذا الاستبدال استبدال حرف بحرف، أو حركة بحركة في الكلمة الواحدة.

وأما الدلالة الصوتية غير المطّردة، فهي تلك الدلالة التي لا تخضع لنظام معين أو قواعد مضبوطة، ومن صورها الأصوات الثانوية، أو ما يطلق عليها الأصوات فوق التركيبيّ كالنبر والتنغيم والوقف والفاصلة وطبقة الصوت ونوع الصوت وشدة الصوت وغيرها من الملامح الصوتية التي لا تدخل في تأليف البنية الصوتية للكلمة، ولكنها تظهر في الأداء فقط.

وفيما يلي عرض لأهم هذه العناصر الصوتية، مع تبين صفة مشاركتها في صناعة الدلالة، وهي تنقسم كما أسلفنا نوعان: نوع أول يرتبط بدلالة الكلمة أو اللفظة وهي الدلالة الصوتية المطّردة، ونوع ثان يرتبط بدلالة الجملة وهي الدلالة الصوتية غير المطّردة.

2. دلالة الكلمة:

مما قيل قبل نستنتج أنّ الفونيمات تؤدّي وظيفتها لا باختلافها وحسب، وإنما أيضا باختلاف مرتبة كلّ واحدة منها في الوجدتين المعنيتين؛ وعليه يكون للفونيم وظيفتين:

وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه. مثلا: استبدال فونيم (الصّاد) في كلمة (صام) بـ(القاف) فتصبح الكلمة (قام).

وظيفة سلبية: حينما تحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى. مثال ذلك فونيم (النون) يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة (نام) لتحديد معناها ومدلولها؛ وهي الوظيفة الإيجابية. أمّا السلبية تتمثّل في حفظ كلمة (نام) مختلفة عن كلمات مثل: قام، صام، نام، عام، ...

النّاحية الثّالثة:

الدّراسة الدلالية الصوتية هنا متعلقة بتأكيد القيمة التعبيرية الدلالية للحرف أو الصوت المفرد في العربية مركبا في الكلمة. وهي ظاهرة أشار إليها العلامة اللغويّ ابن جني في كتابه (الخصائص): حيث توجد قيم دلالية لكلّ حرف عربيّ على حدة.

مثال ذلك: الفرق بين الفعلين (قضم) و(خضم)، فكّل منهما يدلّ على القطع أو التقطيع، لكن المعنى الدقيق لكليهما يختلف بحسب اختلاف اللّفظين في حرفي (القاف) و(الخاء): فالخضم أكل الشيء الرطب كالبطيخ ونحوه، والقضم أكل الشيء اليابس كالخبز اليابس ونحوه، وهو أقوى من الخضم، وإنما خصّص (القاف) للمعنى الأقوى والأشدّ، و(الخاء) للمعنى الأضعف: لأنّ (القاف) أقوى وأشدّ في النطق من (الخاء).

من ذلك أيضا: (نضح) و(نضخ)، قال تعالى: "فهما عينان نضّاختان"، وبما أنّ النضخ أقوى من النضح فقد جعلوا (الحاء) لرقمتهما للماء الضعيف، و(الخاء) لغلظها لما هو أقوى منه، ومن هنا اقترنت قوّة المعنى والدلالة وضعفها، بقوة الصوت وضعفه.

كذلك: الفرق بين (القضم) و(القسم): فالقضم أقوى من القسم بسبب قوّة (الصّاد) على (السين)، منه قوله تعالى: "وكم قمصنا من قرية كانت ظالمة".

القيمة الدلالية أو المعنوية للصوت بالاشتراك مع الأصوات الأخرى في الكلمة الواحدة.

فالفرق الدلالي كما في المثالين السابقين: بين (ناب) و(تاب) و(عاب) و(غاب) من جهة، وبين (قال) و(مال) و(نال) و(طال) من جهة أخرى، جاء على التوالي من التقابل بين الفونيمات (ن) و(ت) و(ع) و(غ) بالنسبة للمثال الأول، والتقابل بين الفونيمات (ق) و(م) و(ن) و(ط) بالنسبة للمثال الثاني.

لكن هذا لا يعني ارتباط ترتيب الأصوات في الكلمة بالمعنى؛ فترتيبها ليس قائما بالنفس، ولكن اختلافها فرق بين أصوات الكلمات المصطلح على دلالتها: أي أنّ ترتيب الفونيمات داخل المونيم الواحد خاضع للاصطلاح والتواضع والاتفاق.

النّاحية الثّانية:

هناك جزئية أخرى لها دخل في تحديد المعنى، يتعلّق الأمر بمرتبة الفونيم على مستوى العلامة اللغوية. بمعنى أنّ مرتبة الفونيم مفيدة في حدّ ذاتها بقدر ما يفيدته تميّزه عن غيره من الفونيمات. مثل: سفر/فرس، سمر/رسم، عنب/نبيع، ... فاختلاف ترتيب أصوات الكلمة يعقبه اختلاف في معناها، وكذلك اختلاف في الصيغة الصرفية. وهنا ينبغي التأكيد على فكرة سبق الإشارة إليها أنفا وهي أنّ مجيء صوت (السين) مجاورا لصوت (الفاء) ثم يليه صوت (الراء) في كلمة (سفر) لا يعني أنّ هذا الترتيب جاء عن معنى؛ لأنّ الاصطلاح على هذا الترتيب هو الذي يؤكّد هذا المعنى لهذا اللفظ، والأمر ذاته مع باقي الألفاظ (فرس، سمر، رسم، عنب، نبيع). هذا ما وضّحه عبد القاهر الجرجاني حين قال: "... وذلك أنّ نظم الحروف هو توالها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا النّاطم لها بمقتضى في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمها ما تحراه. فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال (برض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد"⁽¹²⁾. وهذا يشبه إلى حدّ كبير فكرة التقاليد والتبادل في الاشتقاق الأكبر؛ فتقاليد مادة (ضرب) المستعمل منها والمهمّل (ضرب، برض، ضبر، بضر، برض، رضب) ما هي إلاّ تغيير في ترتيب الفونيمات بحيث يؤدّي ذلك إلى بناء كلمات جديدة. وهي الفكرة التي بنى عليها الخليل بن أحمد (ت175هـ) معجم (العين).⁽¹³⁾

ويتمثل المقطع في أبسط صورته؛ نطق الصوت بمصاحبة حركته، مثل: قال، تنقسم إلى مقطعين.

الأول: قِا: الصوت ق + حركته (حركة المد الطويل).

الثاني: لِي: الصوت ل + حركة الفتح القصير.

أما إن نطقت اللام ساكنة (قال) فهي مقطع واحد فقط؛ لأنّ اللام الساكنة صارت قفلا يغلق المقطع ونهاية له، والكلمة كلّها مقطع طويل مغلق، وتمثل القاف فيها قمة الإسماع، وهي حرف صامت، ثمّ حركة المدّ الطويل الألف، وهي صوت صائت، ثمّ سكون يقع على صوت صامت يمثل نهاية المقطع.⁽¹⁷⁾

وتشمل اللغة العربيّة على سبعة أنواع من المقاطع:

مقطع قصير (ص ح): ويسمى بالمقطع المفتوح⁽¹⁸⁾، أو المتحرك⁽¹⁹⁾، وهو يتألف من صوتين: صامت متلو بحركة قصيرة (ص+ح).

مثال:

واو العطف (وَ = ص ح).

وفاء العطف (فَ = ص ح).

كَتَبَ (كَ = ص ح، تَ = ص ح، بَ = ص ح).

مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح): وهو مكوّن من صوتين: صامت + حركة طويلة (ص + ح ح).

مثال:

حرف النفي: ما (ص + ح ح).

حرف النهي: لا (ص + ح ح).

مقطع متوسط مغلق (ص ح ص): يتألف من صامتين تتوسّطهما حركة قصيرة (ص + ص + ص).

مثال:

حرف النفي: لم (ص ح ص).

فعل الكينونة: كُنْ (ص ح ص).

كذلك: الفرق بين (الْأَزَّ) و(الْيَزَّ)، كما في قوله تعالى: "ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزّهم أزا". فالأزَّ أشدّ من اليزَّ، ويعني التحريك بعنف لارتكاب الفواحش والمعاصي، وقد جاءت قوة الدلالة من قوة صوت (اليهمزة) على صوت (الياء) الأضعف.

إذا الفونيمات من حيث هي أصوات ذات سمات وخصائص قادرة على التمييز بين الكلمات في كلّ اللغات، بل هي قادرة على التمييز لا من حيث ابدالها بفونيمات أخرى فحسب بل من حيث ترتيبها وموقعها في البنية اللغوية. كذلك لها قدرة على التمييز من حيث قوتها وضعفها، فيما يسمّى بالقيمة التعبيرية الدلالية للصوت أو الحرف، وبالتالي فإنّ قيمة الفونيم تكمن أساساً في الوظيفة التبليغية. وعليه فإنّ منطلق الدّراسة الفونولوجية هي أنّ الفونيم ليس معطيات تتجسّم حقيقتها في خصائصها الفيزيائية بقدر ما تقوم به من تبليغ. وانطلاقاً من استعمال الفونيم في سياقات متعددة فهو بالتالي واقع اجتماعي؛ لأنّ اختلاف النطق به لا يمنع متكلمي اللغة الواحدة من أن يفهم بعضهم بعضاً.

2.2- المقطع:

المقطع الصوتي تركيب متماسك لا يمكن تفككه أو عزل أصواته عن بعضها؛ وهو يقارب في كثير من الجوانب مفهوم (القطع) عند القدماء الذي اعتبروا المقطع في الصوت حرفاً. ويعدّ الفارابي أول من قدّم تحديداً اصطلاحياً للمقطع؛ وهو عنده حصيلة اقتران حرف غير مصوّت (صامت) بحرف مصوّت (صائت)؛ يقول في ذلك: "المقطع مجموع حرف مصوّت وحرف غير مصوّت"⁽¹⁴⁾.

وللمقطع تعريفات كثيرة منها أنّه: "تتابع من الأصوات الكلامية، له حدّ أعلى أو قمة إسماع طبيعية، بغضّ النظر عن العوامل الأخرى مثل التبر والنغم الصوتي؛ يقع بين حدين أدنيين من الإسماع"⁽¹⁵⁾. والمقصود بالحدّ الأعلى: قمة الإسماع في الحركات، أمّا الحدّان الأدنيان؛ فهما القمة أو النواة والقاعدة أو الهامش. والأصوات التي تشغل القمة هي الأصوات المقطعية؛ وتشمل أصوات الحركات، أمّا الأصوات التي تشغل القاعدة أو الهامش؛ فهي الأصوات غير المقطعية وتشمل الصوامت وأنصاف الحركات.⁽¹⁶⁾

ضَا: ضَا رَ .

ص ح ح ص ص⁽²¹⁾

وترجع أهمية المقاطع إلى دورها المهم في العملية الكلامية؛ فالمنطوق اللغوي يتكوّن عملياً من مقاطع، وليس من سلسلة خطية من الصوامت والحركات، وبالتالي فهي تمثّل الهيكل التنظيمي الذي تتألف فيه الأصوات اللغوية مشكّلة الكلام. أما دلالات المقاطع فهي متعلقة باختلافها وتنوعها، كما أنّ تشكيلها حقل تبرز فيه صور النبر (الصرفي والسياقي) يساهم ويشارك أيضاً في إنتاج دلالات متعددة. وفيما يلي ذكر لأهمّ الدلالات التي يكون للمقاطع دور في إنتاجها كما جاءت عند إبراهيم أنيس في كتابه (الأصوات اللغوية):⁽²²⁾

1- قد يحمل المقطع الواحد دلالة محددة كما في دلالة (التاء) في تكلمتُ، وتكلمتَ، وتكلمتِ. فالتاء في الفعل الأوّل تاء الفاعل المتكلم، وفي الثاني تاء المخاطب المذكّر، وفي الثالث تاء المخاطبة المؤنثة.

2- يؤثّر طول المقطع، وقصره في معاني الكلمات.

مثال:

جالسٌ = ص ح ح + ص ح ص.

جَلَسَ = ص ح + ص ح + ص ح.

دلّ المقطع الأوّل في (جالس) على اسم الفاعل، فميّز بين دلالة الاسم ودلالة الفعل الذي جاء فيه المقطع الأوّل قصيراً مفتوحاً.

3- يشارك المقطع في الدلالة الصرفية أو دلالة المشتق.

مثال:

قاتل = (ص ح ح + ص ح ص) للدلالة على اسم الفاعل (بتسكين الآخر).

مقتول = (ص ح ص + ص ح ح + ص) للدلالة على اسم المفعول (بتسكين الآخر).

أداة الاستفهام: هل (ص ح ص).

هذه الأشكال المقطعية الثلاثة من المقاطع العربية هي الشائعة، وهي التي تكون الكثرة الغالبة من الكلام العربي، في حالتي الوصل والوقف؛ بحيث لا يمكن أن يطرأ من الضرورة ما يخلّ ببناء واحدة منها.⁽²⁰⁾ أما بقية الأنواع الثلاثة الأخرى فهي:

مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص): وهو مكوّن من صامت + حركة طويلة + صامت.

مثال:

مَالٌ (بتسكين الآخر) (ص ح ح ص).

نَيْلٌ (بتسكين الآخر) (ص ح ح ص).

مقطع طويل مزدوج الإغلاق (ص ح ص ص): وهو مكوّن من صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت.

مثال:

فَضْلٌ: فَضْلٌ (في حالة النطق بها ساكنة).

ص ح ص ص

سَلْبٌ: سَلْبٌ (في حالة النطق بها ساكنة).

ص ح ص ص

كَلْبٌ: كَلْبٌ (في حالة النطق بها ساكنة).

ص ح ص ص

مقطع بالغ الطول مزدوج الإغلاق (ص ح ح ص ص): وهو مكوّن من صامت + حركة طويلة + صامتين.

مثال:

ضَالٌ: ضَا لَ .

ص ح ح ص ص

الكلمة. والثاني: نبر الجملة؛ وهو نبر سياقيّ يقع على الجمل سنتناوله في العنصر الموالي.

ويعرّف نبر الكلمة أو النبر الصرفي بنبر الصيغة لتعلق النبر بها، وهو من اختصاص الميزان الصّرفي أو البناء.

مثال:

فاعل: ينبر المقطع الأول منه وهو فا = ص ح ح .

لإظهار بناء الصيغة، وينبر كلّ مثال على هذا الوزن: قاتل، سارق، ... لإظهار صيغة الفاعل.

مفعول: يقع النبر على العين وهو عو = ص ح ح .

لإظهار بناء الصيغة، وينبر كلّ مثال على هذا الوزن: مقتول، مسروق، ... لإظهار صيغة المفعول.

مستفعل: يقع النبر على التاء وهو تف = ص ح ص .

لإظهار بناء الصيغة، وينبر كلّ مثال على هذا الوزن: مستدرك، مستخرج، ... لإظهار صيغة مستفعل.

وبعد النّبر فونيميا في الكلمة؛ لأنه يؤدي وظيفة في دلالتها، فهو يفرق بين نطق ونطق، وقد يبرز وظيفة عنصر من عناصرها في النطق.⁽²⁶⁾

مثال:

كتباً، استطاعاً، ذهباً = يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة (ألف الاثنتين) وهذا بغية إظهار ألف الاثنتين في الجملة حتى لا يلتبس ذلك بصيغة الماضي بالفتح القصير (كتب، استطاع، ذهب)، ولذلك فقد دلّ نبر المقطع الأخير من الكلمات على أنّ الفاعل ألف الاثنتين. والأمر ذاته ينطبق الأمثلة التالية:

مسلمو أوربا = يقع النبر على المقطع الأخير من كلمة مسلمو (واو الجماعة) حتى لا يلتبس بحركة الضمّ في (مسلم أوربا).

كتابا محمد = يقع النبر على المقطع الأخير من كلمة كتابا (ألف الاثنتين) حتى لا يلتبس بحركة الماضي (الفتح) في (كتب).

قتيل = (ص ح + ص ح ح + ص) للدلالة على الصفة (بتسكين الآخر).

4- وانطلاقاً من أن أي زيادة في الكلمة يعقبه زيادة في المعنى؛ فإنّ الزيادة في عدد المقاطع تؤدّي إلى الزيادة في المعنى أيضاً.

مثال:

أُخْصِدَ = ص ح ص + ص ح + ص ح .

أُرْكَبَ = ص ح ص + ص ح + ص ح .

فزيادة الهمزة في الكلمتين تفيد أنّ الشيء وصل غايته، فإذا قلت (أُحصِد الزرع) عنيت أن الزرع قد نضج وأنّ وقت حصاده، فزيادة الهمزة غيّرت دلالة الفعل.

3.2- النبر (النّبر الصّرفي):

النبر مصطلح صوتي يعني الضغط على صوت أو مقطع معيّن في نطق الكلمة، فيتميّز هذا الصّوت بالعلو والارتفاع؛ أي أنّه يكون أوضح في السّمع من سائر الأصوات المجاورة له.

يعرفه تمام حسان بقوله: "أنّه وضوح نسبيّ لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكميّة والضغط والتنغيم، فالضغط بمفرده لا يسبّي نبراً ولكنّه يعتبر عاملاً من عوامله، ومع هذا فإنّه يعتبر أهمّ هذه العوامل، وربما كان ذلك؛ لأنّ النّبر يعرف بدرجة الضغط على الصوت أكثر مما يعرف بأيّ شيء آخر"⁽²³⁾، وهو بذلك ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السّمع عن بقية ما حاوله من أجزائها.⁽²⁴⁾

أمّا إبراهيم أنيس فيعتبر النّبر نشاط يمسّ جميع أعضاء النّطق في وقت واحد، وعند نطق المقطع المنبور نلاحظ أنّ جميع أعضاء النّطق تنشط غاية النّشاط.⁽²⁵⁾ ولا يكون النبر عشوائياً؛ إذ يجب توفّر مجموعة من عوامل الكميّة والضغط والتنغيم، ويكفي أن يتقوى صوت على صوت آخر داخل الكلمة حتى نسّميه منبورا، فلا يكون النّبر إلا عند الاستعمال الحقيقي للكلمات أو الجمل.

ويرتبط النبر بمقاطع الكلمة سواء كانت مستقلة أو في تركيب، ويتفرّع إلى نوعين: الأول: نبر الكلمة، وهو نبر صرفي يختص ببنية

المراد -هنا- الافتخار بالذات، فوقع النَّبر على المبتدأ (نحن). كما يقع أيضا على الخبر في التركيب الاسمي (أبناء الجزائر) للدلالة على الانتماء الوطني.

المثال الثالث: جاء عمرو

موقع النَّبر

النبر يقع في التركيب الفعلي على الفعل (جاء)؛ لأنَّ المراد من العبارة الإخبار بوقوع حدث المجيء من عمرو وليس حدث آخر.

المثال الرابع: عمرو جاء

موقع النَّبر

النبر يقع في التركيب الاسمي على المبتدأ (عمرو)؛ لأنَّ المراد من العبارة إخبار المتلقي بصاحب الفعل؛ (فعمرو) هو من قام بفعل المجيء وليس شخصا آخر.

المثال الخامس: هذا ما قلته

موقع النَّبر

يقع النَّبر هنا على (ما) فأبرز دلالتها في التركيب، ما أعطى للتركيب معنى النَّفي.

المثال السادس: هذا ما قلته

موقع النَّبر

يقع النَّبر في هذا المثال على الفعل (قلته)، فدلَّ على أنَّ (ما) اسم موصول بمعنى الذي؛ أي يراد بالتركيب: هذا الذي قلته، ما أعطى للتركيب معنى الإثبات.

2.3 التنغيم:

التنغيم هو تنوع الصوت بين الارتفاع والانخفاض أثناء الكلام نتيجة لتذبذب الوترين الصوتيين فيتولد عن ذلك نغمة موسيقية⁽²⁷⁾ ويظهر التنغيم من خلال التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني؛ لذلك يسمى بـ (موسيقى الكلام)⁽²⁸⁾ أو (النغمة الموسيقية)⁽²⁹⁾. ومن خلال هذه الظاهرة يستطيع المتكلم التعبير عن مشاعره وأفكاره دون تغيير شكل

يظهر من النماذج السابقة أن النَّبر يؤدي وظيفة أساسية في تشكيل الدلالة في اللغة العربية الفصحى. كذلك اللهجات لا تخلو من النَّبر الوظيفي مثال ذلك كلمة: نعم فحين يراد بها الإثبات فإنَّ النَّبر يقع على المقطع الأول نَ=ص ح. أما إذا استخدم ليراد بها الاستفهام أو الاستنكار فإنَّ النَّبر ينتقل إلى المقطع الثاني عَم=ص ح.

3. دلالة الجملة:

على مستوى دلالة الجملة سنحاول تبين كيفية مساهمة كلٍّ من (النَّبر والتنغيم) في تشكيل وصناعة الدلالة الكلية للجملة.

1.3 النَّبر (النَّبر السياقي):

وهو النَّبر الذي يقع في الجمل وليس الكلمات؛ ويشترك في دلالتها عن طرق سياق الأداء، من خلال العناية بنطق صيغة صوتية في الجملة لفظا كان أم حرفا، وإبراز دوره في الجملة بإعطائه مزيدا من قوَّة الصوت في الأداء، ليؤدِّي دورا وظيفيا في التَّركيب من خلال التأثير في دلالته.

ويساهم النَّبر في توجيه المتلقي نحو المعنى المراد من خلال شؤركته في تشكيل الدلالة. والأمثلة التالية توضح هذا الدور:

المثال الأول: ضرب زيدٌ محمداً

موقع النَّبر

فالنَّبر هنا واقع على المفعول به (محمداً)؛ لأنه الجزء المراد في الإخبار، وتنبيه المتلقي.

المثال الثاني: نحن أبناء الجزائر

موقع النَّبر موقع النَّبر

يقول ابن جني: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سَيَّرَ عَلَيْهِ لَيْلًا، وهو يريدون: ليل طويل. وكأنَّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلَّ من الحال على موضعها"⁽³³⁾. تحمل هذه العبارة من خلال طريقة نطقها نوع من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل.

كذلك في قوله: كان والله رجلاً

"فتزيد في قوَّة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة، وتتمكَّن في تمطيط اللآم وإطالة الصوت بها وعليها؛ أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك"⁽³⁴⁾.

4. خاتمة:

عرضنا ضمن هذا البحث أهم العناصر الصوتية، مع تبين صفة مشاركتها في صناعة الدلالة، وهي تنقسم كما أسلفنا نوعان: نوع أول يرتبط بدلالة الكلمة أو اللفظة وهي الدلالة الصوتية المطردة، ونوع ثان يرتبط بدلالة الجملة وهي الدلالة الصوتية غير المطردة.

وكان في ذلك تأكيد على أنَّ اللُّغة ظاهرة صوتية، وأنَّ المباحث الصوتية أول خطوة لتفسير اللُّغات، لذا فإنَّ دراستها دراسة علمية تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميزة تنتج عنها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة. وعليه يشكّل المستوى الصوتي اللبنة الأولى لماهية اللُّغات البشرية، والأداة الرئيسة لتواصل البشر، وانتقال المفاهيم الذهنية عندهم.

5. قائمة المراجع:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1975.
2. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996.
3. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، دت، دط.
4. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ص136.
5. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1992.

التراكيب والكلمات؛ لأنَّه يرتبط بالأداء الصوتي، ولهذا عرفه محمود السَّعران بأنَّه: "المصطلح الصوتي الدالَّ على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) في درجة الجهر في الكلام"⁽³⁰⁾، والدالَّ على معنى مع غيره من عناصر السياق.

ويعدّ التنغيم من وسائل البيان والتبيين في أي لغة، ولما كان ظاهرة لغوية، تعددت وظائفه حسب الرؤيا التي تدرس بها اللغة فهو يؤدِّي "في بعض اللغات كالعربية وظيفة نحوية؛ حيث يستعمل للتفريق بين المعاني المختلفة للعملية الواحدة"⁽³¹⁾.

مثال: عبارة: السَّلام عليكم

تنطق بتنغيم معيَّن فتدلُّ على التحية، وتنغيم ثان فتدلُّ على التهنئة والسَّخريَّة، وتنغيم ثالث فتفصح عن شعور بالغضب أو الرضا.

فهذا المثال على بساطته يمكننا أن نستنبط منه أنَّ الكلام البشريَّ معرض في أصله إلى مجموعة من التغيرات الصوتية المؤدية إلى تغيرات دلالية.

وفي هذا السياق أشار ابن جني إلى دور التنغيم في قلب دلالة التركيب التي قد تفهم من دلالته المباشرة إلى دلالة أبعده، وأقوى في التأثير، ومثال ذلك: "لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التعجب استحال خيراً، وذلك قولك: مررت برجل أي رجل! فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهماً. وكذلك: مررت برجل أيما رجل! لأنَّ (ما) زائدة، وكقول الله سبحانه: "أأنت قلت للناس" (المائدة: 116) إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيًا أي ما قلت لهم"⁽³²⁾. وهذه الجمل تعتمد على السياق الحالي؛ لأنَّ سياق المقال يعطيها دلالة غير تلك المستفاد من التنغيم وسياق الموقف.

مثال: قولك لمن جاء متأخراً: أأنت جئت؟

فردّه سيكون اعتذاراً عن التأخير، وليس بالجواب: نعم أنا جئت. وإن أجاب فليس المراد منه الاخبار، بل المراد به التقرير أو السخريَّة أو الاستهجان.

وكثير من الظواهر اللغوية بات أمرها مرتبطاً بالتنغيم ارتباطاً قوياً؛ حيث أصبح وسيلة لفهم الباب النَّحويِّ، في هذا الشَّأن

6. برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
7. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ص4، 2004.
8. تمام حسان، مناهج البحث في علم اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
9. عاطف مذكور، علم اللغة، دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1986.
10. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء، عمان، 1998.
11. عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، الأردن.
12. الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن ظرفان، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة، دار الكتاب الجديد، دت.
13. كمال محمد بشر، علم اللغة العام، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1980.
14. محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2007.
15. محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
16. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة- دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 2011.
6. الهوامش:
- ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص29، 44. وينظر أيضا: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص160، 162.
- 12- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، ص136.
- 13- الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص49.
- 14- حلي خليل، التفكير الصوتي عند الخليل، ص70، 75.
- 15- الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد بن ظرفان، كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة، دار الكتاب الجديد، دت، ص1072.
- 16- أحمد مختار عمر، علم الأصوات العربية، ص241.
- 17- محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص235.
- 18- محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص42.
- 19- محمد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص241.
- 20- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء، عمان، 1998، ص220.
- 21- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص164.
- 22- ملاحظة: تشير الرموز المستخدمة إلى ما يلي: ص= صوت صامت . ص= صامتان. ح= حركة قصيرة. ح= حركة طويلة، مثل ألف المدّ، ياء المدّ، واو المدّ. والصوت الصّامت يقبل الحركة، والصائت الأصوات التي لا تقبل الحركة فهي ساكنة مثل: ألف المدّ، واو المدّ، فإن تحركت الواو والياء فهما صامتان. والألف أبداً؛ لأنها لا تقبل الحركات مطلقاً، وما دون هذه الصوائت الثلاثة صوامت. ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في علم الدلالة، إحالة2، ص41.
- 23- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص16. ينظر أيضا: محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص42.
- 24- تمام حسان، مناهج البحث في علم اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص194.
- 1- ما يشهد أنّ الدّراسات الصوتية العربية أقدم وأعتق من غيرها، وهذا بشهادة الدّارسين الغربيين، في هذا يقول برجستراسر: "ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند (...)، والعرب، وأوّل من وضع أصوات هذا العلم من العرب، الخليل بن أحمد الفراهيدي". ينظر: برجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1982، ص11. ويقول فيرث: "إنّ علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدّستين، هما السنسكريتية والعربية". ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص114.
- 2- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، دت، ط2، ص152.
- 3- المرجع نفسه، 65/1.
- 4- م ن، 101/2.
- 5- م ن، 152/2.
- 6- م ن، 146/2، 147.
- 7- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1996، ص259.
- 8- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة- دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط2، 2011، ص17، 18.
- 9- عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، الأردن، ص166.
- 10- المرجع نفسه، ص09.
- 11- النبر عنصر صوتي مشترك بين الكلمة والجملّة. وعلى هذا هو نوعان: نبر صرفي يتعلّق بالكلمة، ونبر سياقي يتعلّق بتركيب الجملّة.

-
- 25- تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ص4، 2004، ص170.
- 26- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص17.
- 27- محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص45.
- 28- عاطف مذكور، علم اللّغة، ص135.
- 29- كمال محمد بشر، علم اللغة العام (الأصوات)، ص163. وايضا:
عاطف مذكور، علم اللغة، ص135.
- 30- ابراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص176.
- 31- محمود السّعران، علم اللّغة، ص210.
- 32- عاطف مذكور، علم اللّغة العام، ص136.
- 33- ابن جني، الخصائص، 269/3.
- 34- م ن.